



لا يمكننا تجاهل إيران ودورها في المحيط، باتت الجارة ضيفاً ثقيلاً على شؤوننا اليومية، وبعد أن كان الفلق افتراضياً من دورها ونفوذها، استطاعت أياديها الممتدة إلى بلادنا، الواحد تلو الآخر، أن تقلب الافتراض إلى حقيقة ماثلة على الأرض، لم يعد الحديث عنها ترفاً أو تحريضاً أو كراهية أو توظيفاً للمسألة الطائفية، بل حديث الواجب والضرورة، ولا يمكن تجاهله على الإطلاق، ومن يرى أن مجرد وجود دولة قوية على الضفة الأخرى من خليجنا العربي، يشكل وحده أزمة قضية لدينا عشر العرب، فهو مخطئ تماماً، المسألة أكبر وأعقد من وجود إيران قوية.

إيران القوية يمكن التفاهم معها بشكل جيد، وإدارة العلاقة مع قوتها ورغبتها بالوجود والتأثير، لكن ما نحن عليه اليوم ليس كذلك، تجاوزت المسألة موضوع القوة والنفوذ والرغبة بلعب دور ما، ووصلت السكين الإيرانية إلى رقابنا، وهذا أقرب للاحتلال والاستعمار منه إلى التأثير، لدى الجمهورية الإسلامية قوات عسكرية في العراق وسوريا، وعملاء عسكريون في لبنان واليمن، وثمة من يهددنا بالطواف في الحرم المكي، ليس من بوابة الحج الرسمية المفتوحة لجميع المسلمين، بل من باب التلويح بالرغبة في السيطرة واحتلال الأماكن المقدسة، وهذا كله يستدعي الفلق والمراجعة لمواجهة هذه التحديات الخطيرة، والمرتبطة بمعرض إيران.

في تقديرني، ثلاث قضايا أساسية يجب التوقف أمامها طويلاً في بحث المعضلة الإيرانية، قضيتنا نحن أولاً ومشروعنا وكيف نفك ونعمل، ثم إيران ومخطلاتها وعقيدة نظامها السياسي، وأخيراً قضية الأقلية الشيعية التي شكلت مدخلاً للنفوذ والتواجد الإيراني لا يمكن تجاهله، فنفوذ إيران العراقي اللبناني واليمني جاء عبر المليشيات والأحزاب السياسية الشيعية، وليس عن طريق آخر، أو هكذا دون مقدمات، لكن هذا الأمر لا يبحث لوحده، دونتناول القضايا الأخرى المتداخلة مع بعضها البعض، فنحن، والتي تشكل القضية الأولى والهامة، يحيطها الكثير من الالتباس وعدم الوضوح، من نحن على وجه

التحديد؛ النظام الرسمي؟ أم مجموعة الأنظمة المتناثرة والمتماءلة على بعضها البعض، نحن الناس؟ ولماذا يكون الشيعة أقلية من بيننا ويتم تمييزهم على هذا النحو؟ وهل مسألة انحياز معظم الشيعة العرب إلى إيران ومشروعها كان مقدراً له أن يكون على أية حال، وفي أية ظروف، ومهما كان موقف وشكل مشروع النظام أو مجموع الأنظمة القائمة في بلادنا العربية؟

### إن معضلة إيران تبدأ منا، عليك أن تلتفت للدول العربية وتسأل التالي:

ماذا يفعل هؤلاء العرب في بلدانهم؟ أي مشروع ورؤى تحملها هذه الأنظمة العربية لشعوبها ومستقبلها؟ وأي واقع رسمته هذه الشعوب لنفسها بسلبيتها وأنهزاميتها ورضوخها لانعدام المشاريع الحاكمة، ولماذا سمحنا لنفسنا أن تكون على هذا النحو، ونترك للنخبة السياسية والدينية والثقافية والإعلامية العبث بنا وتشكيلنا بهذه الطريقة، لماذا سمحت الغالبية الشيعية العربية في العراق للأحزاب الإيرانية في بغداد أن تضعها على مسار العمالة للأجنبي، وسمحت الغالبية الشيعية في العالم العربي لنفسها أن تكون متكيفة ومبررة لكل مشروع في المنطقة يحمل بصمة إيرانية، ولماذا سمحت الغالبية السنوية لنفسها أن تكون صغيرة لهذه الدرجة، وأن تقبل التحرير في زمان سابق على الأقلية الشيعية، حتى قبل أن ترتكب خطيئة التبعية لإيران، وأن ترسم صورة مشوهة لنفسها وأبناء جلدتها وتدفعهم دفعاً لتمييز أنفسهم بهذه الصورة المحزنة.

متى عالجنا قضيانا، وأعدنا تعريف أنفسنا التعريف الصحيح، واستطعنا النقاش والضغط باتجاه مشروع المواطن المتساوية العادلة، والسماح بالاختلاف والتباينات المذهبية والدينية والفكرية، ستجد الأنظمة نفسها مضطرة للمواكبة وتبني مشروع واضح وقوى يمكنها من المواجهة، وساعتها لن تجد إيران الكثير لتعبث به في ساحتنا العربية، ولن تكون إيران معضلة كبرى، بل مجرد دولة قوية جارة، يمكن التعامل معها ومواجهتها بكل قوة، كما حدث غير مرار، في تاريخنا المعاصر وقبل ذلك بعصور.

العرب القطبية

المصادر: